المحفل العلمي الدولي العاشر
The 10th International Scientific Forum
Morocco - المغرب
23-27 مايو 2022
info@almahfal.org www.almahfal.org

كتاب وقائع المحفل العلمي الدولي العاشر

ALMAHFAL Proceedings

23-27 مايو 2022م

The purposes of the Qur'an and its relationship to human nature

Abdallah Kerkech* D. Buoassab Said

Ibn Zohr University - Faculty of Sharia Ait Melloul Agadir - Morocco

مقاصد القرآن وعلاقتها بطبائع الإنسان

عبد الله كركيش* دكتور بوعصاب سعيد

باحث بسلك الدكتوراه جامعة ابن زهر –كلية الشريعة آيت ملول أكادير – المغرب.

kerkech2013@gmail.com
arid.my/0004-7805
https://doi.org/10.36772/isf10.11

ARTICLE INFO
Article history:
Received 17/07/2022
Received in revised form 11/08/2022
Accepted 13/09/2022
Avalable online 1/10/2022
https://doi.org/10.36772/isf10.11

Abstract

The details of this research on the nature of the human person in the Holy Qur'an and his relationship with it are carried out as a recent and realistic study; Because it cares about man in terms of his various stamps, which God Almighty mentioned in the Gallery of Degradation sometimes, and in the Gallery of Degradation others; This gives the research its importance and shows its grandmother and authenticity. The research addresses the problem of human nature in the Qur'an, being innate and acquired, about the relationship of the purposes of the Qur'an with it, how to deal with it, and is it the origin of man for good or evil? Highlighting the importance of this study linked to man and his reality in which he exercises the repercussions of his traditions, manifested in his actions and actions, as well as in his abdomen, which defines his goals and limits, and adopts, as the nature of the research requires, an inductive, extractive, and analytical approach, it also seeks to achieve the following results:

1. Demonstrate the importance of the purposes of the Koran in relation to human nature.

2. To know the truth of man by revealing his prints in the Qur'an and observing them in dealing with him.

Keywords: Purposes - Quran - Nature – Man

الملخص

تجري تفاصيل هذه البحث حول طبائع الإنسان في القرآن الكريم وعلاقة مقاصده بها، ذلك أنه من الدراسات الحديثة والواقعية؛ لأنه يهتم بالإنسان من حيث طبائعه المختلفة والتي ذكرها الله عز وجل في معرض الذم أحيانًا، وفي معرض المدح أخرى، وهو ما يعطي للبحث أهميته، ويبين جدته وأصالته.

يعالج البحث إشكالية طبائع الإنسان في القرآن، وكونها فطرية، أم مكتسبة، وعن علاقة مقاصد القرآن بها، وكيفية التعامل معها، وهل الأصل في الإنسان الخير، أم الشر؟ وبيانه أهمية مثل هذه الدراسة المرتبطة بالإنسان وواقعه الذي يمارس فيه انعكاسات طبائعه التي تظهر في أفعاله وتصرفاته ما ظهر منها وما بطن، وهو ما يحدد أهدافه وحدوده، معتمدًا –حسب ما يقتضيه طبيعة المبحث– المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي، كما أنه يسعى إلى تحقيق النتائج التالية:

1. بيان أهمية مقاصد القرآن في علاقتها بطبائع الإنسان.
2. معرفة حقيقة الإنسان من خلال الكشف عن طبائعه في القرآن، ومراعاتها في التعامل معه.

الكلمات المفتاحية: مقاصد – القرآن– طبائع– الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وبعد:

المقدمة

فإن من الدراسات الحديثة والواقعية، تلك التي تهتم بالإنسان في طبائعه المختلفة والمثيرة، وهي طبائع متعددة ذكرها الله عز وجل في معرض الذم أحياناً، وفي معرض المدح أخرى، والبحث في السياقات التي جاءت فيها، وعلاقتها بمقاصد القرآن، يعطي للبحث أهميته، ويبين جدته وأصالته.

وقد تناولت الدراسات السابقة الموضوع من زوايا مختلفة، غير أني – حسب اطلاعي – لم أجد دراسة مقاصدية حوله، مما دفعني للبحث فيه من هذه الناحية. وهذه بعض الدراسات السابقة:

- هناك دراسة حول صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم وسبل التزكية منها، ل "د.–/إبراهيم بن محمد بن عبد الله العيسي" (2019، وهي دراسة تتقاطع مع موضوع هذا البحث لاشتراكهما في موضوعها العام، وهو الإنسان وصفاته في القرآن، مع اختلاف في الوجهة.
- وهناك دراسة أخرى حول "طبيعة الإنسان في القرآن ل: "أ.د. حامد طاهر" (2019)، وهي دراسة عرضت طبائع الإنسان في القرآن عرضاً مع شيء من التفصيل، ولكنها لم تتطرق إلى علاقة هذه الطبائع بمقاصد القرآن، وهي فجوة بحثية كانت من الدوافع لسدها من خلال هذا البحث.
- وثَم دراسة أخرى حول "التنوع في الطبائع (دراسة تأصيلية تربوية) ل: د. انشراح أحمد توفيق اليبرودي (2014)، وهي دراسة حول حقيقة التنوع في الطبائع الإنسانية، عرفت بالمقصود بالتنوع في الطبائع، واستقرأت أسبابه، ووظائفه وأهدافه، كما بينت دور التربية الإسلامية في تحديد الطبائع، وتنميتها، وتوجيهها، وتهذيبها.
- وكل هذه الدراسات وغيرها أخذت منحاً يتقاطع مع موضوع هذا البحث في كونها ركزت على طبائع الإنسان في القرآن الكريم، غير أنها لم تتطرق إلى الجانب المقاصدي، وهو محور هذا البحث، وفي هذا السياق يأتي هذا البحث "مقاصد القرآن وعلاقتها بطبائع الإنسان" وهو موضوع يثير إشكالات عدة.

مشكلة البحث:

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكشف عن طبائعه كشف العليم الخبير، وبالتأمل في جاء في القرآن الكريم عن طبائعه، نجد أن أغلبها جاءت في معرض الذم، مما يثير تساؤلات وإشكالية عدة منها:

- هل هي طبائع فطرية أم مكتسبة؟ وإذا كانت فطرية فكيف تفهم في سياق الآية الكريمة التي يقرر الله تعالى فيها أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم؟ وإذا كانت مكتسبة فماهي أسباب اكتسابها، وكيف يتعامل معها؟ وهل الأصل في الإنسان الخير أم الشر؟ ثم كيف يصف الله تعالى الإنسان بصفات ذميمة وهو خلقه في أحسن تقويم؟
- ثم أخيرًا ما علاقة مقاصد القرآن بتلك الطبائع خيرها وشرها؟ وتلك إشكالات تثير عدة فرضيات.

فرضيات البحث:

- طبائع الإنسان كلها فطرية، ومن ثم لا يلام الإنسان على التصرفات التي تنتج عنها.
- طبائع الإنسان كلها مكتسبة، ومن ثم فهو مسؤول عن اكتسابها، ومحاسب على ما ينتج عنها من تصرفات وأفعال.
- هناك من يدعي بأن الأصل في الإنسان الشر، من الحسد والبغض وغيرهما، وهناك من يرى أن الأصل في الإنسان الخير؛ لأن الله خلقه على فطرة سليمة، لكن يد الإنسان وتدخلاته هي من تبقى فطرته على أصلها، أو تنحرف بها عن مسارها وتغرس فيها تلك الطبائع الذميمة.
- لقد خلق الله الإنسان وهو أعلم به، وأنزل عليه الكتب وأرسل إليه الرسل؛ لغاية تقويم اعوجاجه، وهدايته للتي هي أقوم.

حدود البحث:

أما من حيث حدود هذا البحث فإنه يجلي طبيعة الإنسان في القرآن، وعلاقةَ مقاصده بها، وبيانه أهمية مثل هذه الدراسة المرتبطة بالإنسان، وواقعه الذي يمارس فيه انعكاس طبائعه الذي تظهر في أفعاله وتصرفاته ما ظهر منها وما بطن، ومن ثم فإنه يسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

أهداف البحث:

- الحديث عن طبائع الإنسان في القرآن، ومعرفة طرق التعامل معها
- إدراك علاقة مقاصد القرآن بطبائع الإنسان.
- معالجة الإشكالات التي يثيرها البحث.

نتائج البحث

ويتوخى البحث تحقيق النتائج التالية:

1. حاول البحث الإجابة عن إشكالات البحث، وأسئلته، وتمحيص فرضياته.
2. بيان أهمية مقاصد القرآن في علاقتها بطبائع الإنسان.
3. إدراك حقيقة الإنسان من خلال طبائعه في القرآن، ومن ثم مراعاتها في التعامل معه.

ولما كانت طبيعة البحوث تحدد طبيعة المنهج المتبع فيها فقد اعتمدت المناهج التالية:

المنهج الاستقرائي والاستنباطي ثم المنهج التحليلي

خطة البحث الأولية:

جاءت بنية البحث على الشكل التالي:

ثلاث مباحث، ومطلبان في كل مبحث، تناول المبحث الأول بمطلبيه ما يتعلق بالمفاهيم المرتبطة بالبحث، والبحث الثاني تناول ما يتعلق بطبائع الإنسان في القرآن الكريم بنوعيها، الممدوح والمذموم، ودراستها حسب سياقاتها، بينما تناول المبحث الثاني في مطلبه الأول، ما يتعلق بمقاصد القرآن وعلاقتها بطبائع الإنسان، وفي المطلب الثاني عالج مشكلة هل الأصل في الإنسان الخير أم الشر.

المبحث الأول: المبحث المفاهيمي

المطلب الأول: مفهوم المقاصد

1. المقاصد لغة: إن تعريف المقاصد لغة فصل فيه العلماء تفصيلًا لا يسع المقام بعرضه هنا، وسأركز على المعاني المتصلة ما أمكن بموضوع البحث، وسأختصرها اختصارًا يليق بالمقام.

يطلق أهل اللغة لفظ "المقصد" ويريدون به ما ينتج عنه من التوجه نحو الشيء والنهوض إليه، سواء كان التوجه حسياً أو معنوياً، وذلك بحسب ما يتعدى به لفظ "القصد"، فإن عدي لفظ القصد بإلى، فإنه يراد به التوجه الحسي غالباً، وإن عدّي بالباء فإنه يراد به التوجه المعنوي عادة، وأمّا إن عدي بنفسه فهو يشمل الأمرين. (التجاني، علي البشر، 2013)

(قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمّه، والآخر على اكتنازٍ في الشيء (زهير عبد المحسن، 1986)، وفي الحديث: "القَصدَ القصدَ تبلغوا"*

* الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، للأزدي الميورقي الحميدي، دار ابن حزم – لبنان 1423هـ –2002م.

2. **المقاصد اصطلاحًا:** سأختصر على تعريف للإمام الغزالي رحمة الله عليه؛ لارتباطه بموضوع البحث حيث قال: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة" (الميورقي، 2002)، فحفظ النفس من مقاصد الشرع الحكيم.

3. مفهوم مقاصد القرآن

تعريف مقاصد القرآن الكريم باعتبارها لقباً على علم معين، فإنه يراد بها: "إدراك مراد الله تعالى من إنزال القرآن الكريم" (الطوسي، 1993)، ومن مراد الله من إنزال القرآن، حفظ النفس البشرية، من جهتي، الوجود، والعدم.

وقد عرفها الدكتور عبد الكريم حامدي بأنها: "الغايات التي أُنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد" (التجاني، علي البشر، 2013)، وقد جاء القرآن بحفظ مصالح العباد كيف ما كانت شريطة أن تكون مصالح معتبرة، ومنها مصلحة حفظ النفس البشرية، وقد شرع لذلك عدة وسائل ليس المقام مقام عرضها هنا.

المطلب الثاني: مفهوم طبائع الإنسان المفهوم المفرد والمركب

1. مفهوم الطبائع (المفهوم المفرد)

(ط ب ع) طبيعة [مفرد]: ج طبائع. طبع، فطرة، خلقٌ وسجيّة "له طبيعة سمحة- طبيعته محمودة في معاملاته" طبائع النُّفوس والأشياء: خصائصها وصفاتها (حامدي عبد الكريم، 2008).

الطباع: واحد طباع الانسان، كمثال ومهاد في مثل ومهد، وهو ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك كالبخل والسخاء والشدة والرخاء من الأخلاق التي لا تزايلنا، والطبيعة في الانسان: التي طبع عليها وطبعها. (أحمد مختار، 2008) (الطَّبْع) الْخلق والمثال أَو الصِّيغَة و (فِي علم النَّفس) مَجْمُوعَة مظَاهر الشُّعُور والسلوك المكتسبة والموروثة الَّتِي تميز فَردا عَن آخر (ج) طباع وأطباع (أحمد رضا، 1959).

[طبع] الطَّبْع من قَوْلهم: طبع الرجل على الشَّيْء طبعا إِذا جبل عَلَيْهِ، والطبيعة: الخليقة الَّتِي جبل عليها، (طبع) الطاء والباء والعين أصل صحيح، وهو مثل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها، يقال: طبعت على الشيء طابعًا. ثم يقال على هذا: طبع الإنسان وسجيته. ومن ذلك طبع الله على قلب الكافر، كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور، فلا يوفق لخير (الأزدي، 1987)،

طبَع اللهُ النَّاسَ: خلقهم وأنشأهم على صورة معينة طُبع الشخصُ على شيء: جُبِلَ عليه، اتّصف به (القزويني، 1979).

ومن تمام الفائدة الفرق بين الطبع والختم: أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعاً، وهو الأثر الذي يؤثره فيه فلا يزول عنه، كذلك أيضا قيل: طبع الانسان لأنه ثابت غير زائل، وقيل طبع فلان على هذا الخلق إذا كان لا يزول عنه، وقال بعضهم: الطبع علامة تدل على كنه الشيء، وقيل: طبع الانسان لدلالته على حقيقة مزاجه من الحرارة والبرودة (أبي هلال العسكري، 1412 هـ).

2. مفهوم طبائع الإنسان (المفهوم المركب)

من خلال المعنى اللغوي لكلمة "طبع" مفردة، فعند إضافتها يصبح المعنى التالي: طبائع الإنسان هي، ما جبل وفطر عليه من الغرائز والخصال، المتأثرة بعوامل خارجيه سلباً أو إيجاباً، مثل التربية والتعليم، وتنقسم إلى قسمين، مذمومة، ومحمودة، فالمذموم منها يكشف نقص الإنسان وضعفه، والمحمود منها يضفي عليه نوعاً من الكمال.

يفيد هذا التعريف الخاص، أن الطبائع التي فطر عليها الإنسان، تتأثر بعوامل خارجية، كالتربية والتعليم، والمجتمع، والعولمة، ويفيد أيضاً أن هذه الطبائع قابل للتغيير سلباً أو إيجاباً؛ لذا نجد الحديث الشريف واضحاً في أبهى ما يمكن من الوضوح، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء"*، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أو ضيعه"†، مما يفيد خطورة التربية في إبقائها فطرة الإنسان على أصلها سليمة نقية، أو تنحرف بها يمنة ويسرة، فتكون معول هدم وفساد.

المبحث الثاني: طبائع لإنسان في القرآن ودراستها

المطلب الأول: الطبائع التي وردت في معرض الذم ودراستها

إن الطبائع المذمومة للإنسان الواردة في القرآن الكريم كثيرة جملتها:

(الضعف، اليأس والقنوط، الجحود لنعم الله، كثرة الظلم للنفس، الجدل والخصومة، العجلة، البخل، الجهل، الهلع والجزع، الطغيان، كفور، الشح والنفاق)، وهي كلها جاءت في معرض الذم، وبشيء من الحديث عنها، أقول:

* صحيح البخاري رقم [1319].

† صحيح البخاري رقم [7138]

ومن طبائع الإنسان المذمومة: الضعف

إن الإنسان من طبعه الضعف كما قال تعالى: {يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا} [النساء:28]، وقد ورد في القرآن الكريم من مادة "ضعف" اثنان وخمسون مرة:

خمس مرات (5) اسمًا مشتقًا من باب «اسْتَفْعَلَ»، ومرة (1) اسمًا مشتقًا من باب «فاعَلَ»، ومرة (1) اسمًا مشتقًا من باب «أَفْعَلَ»، ومرتين (2) اسمًا بصيغة «أَضْعَف»، وثمان مرات (8) اسمًا بصيغة «ضَعِيف»، وأربع مرات (4) اسمًا بصيغة «ضَعْف»، وأحد عشر مرة (11) اسمًا بصيغة «ضِعْف»، ومرة (1) اسمًا بصيغة «مُضاعَفَة»، ومرتين (2) فعلًا من الثلاثي المجرد، وثمان مرات (8) فعلًا من باب «اسْتَفْعَلَ»، وتسع مرات (9) فعلًا من باب «فاعَلَ».

واستخراج الآيات من مواقعها في القرآن الكريم يطيل البحث ويخرجه عن مساره؛ لأن موارد الآيات كثيرة، ومختلفة، والغرض هو حصول المقصود من التمثيل، بذكر بعض الأمثلة فقط.

والآيات التي تتحدث عن الضعف في الإنسان، أظهرت أن هذا الضعف بعضه جبلي كما في قوله تعالى:{وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا} [النساء:28]، وفي قوله تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ}[الروم:54]، وبعضه مكتسب بفعل الإنسان تقصيرًا منه في التعاطي لأسباب القوة، كما في قوله تعالى:{ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ}[الأنفال:66].

ومن طبائع الإنسان المذمومة: كثرة الجحود لنعم الله

جحود النعم لا يكون إلا من قلة المعرفة بالله ومن سوء التعامل مع نعمه سبحانه وتعالى، وقد ذكر الله تعالى هذا الطبع في معرض الحديث عن النعم في سورة النعم، كما قال تعالى: {وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ} [النحل:71].

وجحود بني آدم قد ورد في القرآن الكريم في موقفين، الأول: موقفهم من النعم، وهو الآية التي ذكرتها آنفاً، والثاني: موقفهم من آيات الله، كما قال تعالى:{قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ}[الأنعم:33]، وآيات الله تعالى التي جحدها الظالمون، عامة تشمل آياته الكونية، ودلائله التشريعية، كما قال تعالى:{وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ}[الأحقاف:26].

وذكرت مادة "الجحود" من جذر "جحد" في القرآن الكريم اثنا عشر مرة (12) فعلا من الثلاثي المجرد بصيغتين، الماضي والمضارع.

(ماضي) كما في قوله تعالى: {وتلك عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ} [هود:59]، و(مضارع) كما في قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَا إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ} [العنكبوت:47].

ومن طبائع الإنسان المذمومة: كثير الظلم لنفسه

ظلم الإنسان لنفسه، إنما يكون من جهل الإنسان بحق نفسه عليه، وأن قوامه وقيمته بها صلاحاً، وأنها إذا فسدت نفسه خسر خسراناً مبيناً؛ ذلك أن النفس البشرية كثيرة الأغوار متشعبة الأطوار أمارة بالسوء والأضرار، ولا يستقيم حالها إلا بمخالفتها، كما قال الإمام البوصيري –رحمه الله في بردته:

"وَخالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطانَ وَاعْصِهِما ... وإِنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ"

وأنشد حجة الإسلام الغزالي في "منهاج العابدين": [من البسيط]:

إِيَّاكَ نَفْسَكَ لا تَأْمَنْ غَوائِلَها ... فَالنَّفْسُ أَخْبَثُ مِنْ سَبْعِيْنَ شَيْطانا.

وقد وردت مادة "الظلم" من جذر "ظلم" في القرآن الكريم خمسة عشر وثلاث مائة (315) مرة: وردت أربعة وثلاثين ومائة مرة (134) اسمًا مشتقًّا من الثلاثي المجرد، ومرتين (2) اسمًا مشتقًّا من باب «أَفْعَلَ»، وستة عشر مرة (16) اسمًا بصيغة «أَظْلَم»، ومرتين (2) اسمًا بصيغة «ظالِمِي»، ومرتين (2) اسمًا بصيغة «ظَلُوم»، وخمس مرات (5) اسمًا بصيغة «ظَلّام»، وثلاثة وعشرين (23) مرة اسمًا بصيغة «ظُلُمَة»، وعشرين مرة (20) اسمًا بصيغة «ظُلْم»، وعشر ومائة (110) مرة فعلًا من الثلاثي المجرد، ومرة فعلًا من باب «أَفْعَلَ».

واستخراج الآيات من مواقعها مع تعدد مواردها يطيل البحث ويخرجه عن غرضه.

وبالتأمل في آيات الظلم، نجد أنها تنفي عن الله الظلم للعباد، وتثبت ظلم العباد لأنفسهم، وهذه بعض الآيات للتمثيل لا للحصر.

قال تعالى: {وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ} [البقرة:57]، وقوله تعالى: {وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ} [آل عمران:117]، وقوله تعالى:{سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ}[الأعراف:177].

ومن طبائع الإنسان المذمومة: الجدل والخصومة

من طبيعة الإنسان كثرة الجدال، وليس الجدال فحسب، وإنما الإكثار منه كما قال تعالى: {وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا} [الكهف:54]، وقوله تعالى: {وَقَالُوٓاْ ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف:85].

وردت مادة الجدال من جذر «جدل» في القرآن تسعة وعشرين (29) مرة:

وردت مرتين (2) اسمًا بصيغة «جَدَل»، ومرتين (2) اسمًا بصيغة «جِدال»، وخمسة وعشرين (25) مرة فعلًا من باب «فاعَلَ».

والجدال منه ما هو مذموم، ومنه ما هو محمود، فالمذموم منه ما كان في الباطل كما قال تعالى: {وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ} [الكهف:56]، وما كان من غير علم، وقد وردت منه ثلاث آيات، قال تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ} [الحج:3]، وقال تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ} [الحج:8]، ومثلها في سورة لقمان. [لقمان 20].

ومنه ما كان جدالا في آيات الله من غير سلطان كما قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ* أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر:35]، وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ} [غافر:69].

والمراد بالجدال في آيات الله، أي في آيات القرآن وحججه التي أتاهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر ابن عطية –رحمه الله في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ} ظاهر الآية أنها في الكفار المجادلين في رسالة محمد والكتاب الذي جاء به بدليل قوله: {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتابِ}. وهذا قول ابن زيد والجمهور من المفسرين، ويعنى بآيات الله، آيات القرآن، وجحودهم بها، ادعاؤهم أنه ليس من الله– عز وجل– (أبي محمد الأندلسي، 1422هـ).

والمراد بالذين يجادلون في آيات الله المشركون كما قال شيخ المفسرين في قوله تعالى: {ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون} يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته (أنى يصرفون) يقول: أي يصرفون عن الحق، ويعدلون عن الرشد (أبي الحسن الأزدي، 1423هـ).

* المراد بالسلطان، العلم

أما المحمود منه، ما كان وسيلة للدعوة إلى الله، والدفاع عن الحق والدين، وهو الذي قال الله تعالى فيه: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ} [العنكبوت:46]، وقوله تعالى: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ} [النحل:125].

أما موارد آيات الجدال فكثيرة ليس المقام مقام عرضها، وإنما الغرض ذكره في معرض الحديث عن طبائع الإنسان التي هي الجدال والإكثار منه.

ومن طبائعه المذمومة: العجلة

لقد قيل: العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمن، وقد ذكر الله عز وجل هذا الطبع بأجلى صيغة، فقال تعالى: {وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا} [الإسراء:11].

وقد وردت مادة «عجل» في القرآن سبعة وأربعون (47) مرة:

وردت ثلاث (3) مرات اسمًا مشتقًّا من الثلاثي المجرد، ومرة (1) اسمًا مشتقًّا من باب «اسْتَفْعَلَ»، ومرة (1) اسمًا بصيغة «عَجَل»، ومرة (1) اسمًا بصيغة «عَجُول»، وعشر (10) مرات اسمًا بصيغة «عِجْل»، وخمس مرات (5) فعلًا من الثلاثي المجرد، وتسعة عشر (19) مرة فعلًا من باب «اسْتَفْعَلَ»، وخمس (5) مرات فعلًا من باب «فَعَّلَ»، ومرة (1) فعلًا من باب «أَفْعَلَ»، ومرة (1) فعلًا من باب «تَفَعَّلَ».

والملاحظ أن مادة "عجل" تتسع لمعاني كثيرة، سأذكر مثالاً أو مثالين لكل معنى من دون تفصيل.

فمنها ما يرجع إلى "العاجلة"، أي الدنيا، في مقابل "الآخرة"، وهي آيات كثيرة، منها قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}[القيامة:20]، ومنها ما يرجع إلى تعجيل الشيء، كما في قوله تعالى: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ}[يونس:11]، ومنها ما يرجع إلى العجلة، وهي المرادة حسب سياق البحث، وذلك في قوله تعالى: {خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ}[الأنبياء:37]، وقوله تعالى: {وَيَدْعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا}[الإسراء:11].

ومنها ما يرجع إلى استعجال الشيء، كما في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: {قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ} [الأنعام:57].

ومنها ما ورد في سياق التحذير، كما في قوله تعالى: {وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا} [الكهف:]:58].

ومنها ما ورد في مقام الضدين، التعجيل والتأخير، كما في قوله تعالى: {فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة:203]، والعجلة وعدم الصبر يحرمان العبد أموراً كثيرة وفوائد جمة؛ لذا كانت العجلة مذمومة.

ومن طبائع الإنسان المذمومة: البخل والشح

البخل صفة مذمومة في الإنسان، وبها يجنح عن منهج التوسط والاعتدال، ويقع في إفراط أو تفريط، وكل ذلك مذموم.

وقد وردت مادة "البخل" من جذر «بخل» في القرآن إثني عشر (12) مرة:

وردت مرتين (2) اسمًا بصيغة «بُخْل»، وعشر (10) مرات فعلًا من الثلاثي المجرد.

وهذه بعض الأمثلة دون تفصيل:

اسم بصيغة «بُخْل»، كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} [النساء:37]، ووردت عشر مرات (10) فعلا من الثلاثي المجرد بصيغة الماضي، والمضارع، الماضي، كما في قوله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ} [التوبة:76]، والمضارع، كما في قوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم} [آل عمران:180].

الشّحّ: بُخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة قال تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} [النساء: 128]، وقال سبحانه: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ} [الحشر: 9]. يقال: رجل شَحِيحٌ، وقوم أَشِحَّةٌ، قال تعالى: {أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} [الأحزاب: 19]، {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} [الأحزاب: 19] (أبي جعفر، محمد الطبري).

وقد وردت مادة "الشح" من «شحح» في القرآن خمس (5) مرات بصيغة "شحَّ"، وهو صفة من صفات المنافقين، كما قال تعالى في وصفهم: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا [الأحزاب: 19].

قال الطبري: (إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخصص وصفهم من معاني الشح، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين) (أبي الفداء القرشي، 1999)، والموصوف بهذه الصفة لا خير فيه، كما قال تعالى:{أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} قال ابن كثير: (وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير) (عبد الرحمن السعدي، 2000)، والشح من أسوأ صفات الإنسان، قال الشيخ السعدي في تفسير الآية: (أشحة على الخير: الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون شحيحاً بما أمر به، شحيحاً بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحاً في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحاً بجاهه، شحيحاً بعلمه، ونصيحته ورأيه) (أبي عبد الرحمن الفراهيدي، 170هـ)، والشح سبب للهلاك والخسران، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"*، وقال تعالى:{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]. قال الشيخ السعدي: (لعل ذلك – الوقاية من الشح – شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة) (أحمد الرازي، أبو الحسين، 1979).

ومن طبائع الإنسان المذمومة، الجهل.

الجهل أصل في الإنسان كما ذكر الله عز وجل في خلق الإنسان من كونه لا يعلم شيئاً كما في قوله تعالى:{ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ }[النحل: 78]، وعدم العلم يعني الجهل، لكن بالتدبر في الآية نجده سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان وقد أعده أيما إعداد، ومن ذلكم أنه تعالى أقدر هذا الإنسان على التعلم، وجعل له من وسائل التعلم الذاتية والخارجية؛ ليقيم عليه بها الحجة على نفسه، فمن الوسائل الذاتية، ما ذكره في الآية نفسها:{وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ}، ومن الوسائل الخارجية أذكر منها على سبيل المثال "القلم" الذي أقسم الله تعالى به في قوله تعالى:{ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ }[القلم:1]، وذلك لتحقيق شكر الله تعالى على نعمه الكثيرة التي ترجع أصولها إلى ثلاث، نعمة الإيجاد، ونعمة الإعداد، ونعمة الإمداد؛ لذا قال تعالى:{وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ}، والشكر غاية تنال بوسائل عدة، منها معرفة الله حق المعرفة، وصرف النعمة في مرضاته سبحانه وتعالى.

* رواه مسلم (2578)

فإذا لم يحقق العبد هذا كله صار الجهل فيه صفة مذمومة، بيد أن الجهل لا يرتفع عن الإنسان مهما تعلم؛ لأنه إن علم شيئاً غابت عنه أشياء، والمذموم منه ما كان متعمداً، ولم يحقق العبد من تلك النعم ما يجب، فالله قد خلقه وأعدّه، وأمدّه، ودعاه إلى العلم وبه أمره وكلفه، وذم فيه الجهل والكسل ولم يعذره.

وقد وردت مادة "جهل" في القرآن الكريم أربعة (24) مرة:

وردت عشر مرات (10) اسمًا مشتقًّا من الثلاثي المجرد، وثلاث مرات (3) علمًا، ومرة (1) اسمًا بصيغة «جاهِلِيَّة»، وأربع مرات (4) اسمًا بصيغة «جَهالَة»، ومرة (1) اسمًا بصيغة «جَهُول»، وخمس مرات (5) فعلًا من الثلاثي المجرد، وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة فقط، مع ذكر سياقها.

وردت مادة الجهل في سياق التعوذ من أهله، كما قوله تعالى: {قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[البقرة 67]، ووردت في معرض الحديث عن من جهل حالهم من الغنى والفقر، كما في قوله تعالى:{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}[البقرة:273]، ثم إنها وردت أيضاً في معرض التحذير من الجهل، كما في قوله تعالى:{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[الأنعم:35]، كما انها وردت في معرض الدعوة إلى الإعراض عن الجاهلين، كما في قوله تعالى:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف:199]، كما وردت في معرض النصيحة والتنبيه من أن يكون الإنسان من الجاهلين كما قال تعالى لنبيه نوح –عليه السلام:{إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[هود:46]، ووردت في معرض التخوف من أن يصير الإنسان من الجاهلين، كما وردت في دعاء يوسف –عليه السلام:{قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ}[يوسف:33]، ومن مواردها أيضًا، أنها وردت علَماً، كما في قوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}[المائدة:50]، وقوله تعالى:{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ}[الأحزاب:33].

وقد طبع الإنسان على الظلم والجهل، كما في قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب:72] بصيغة المبالغة؛ لتفيد أن الجهل والظلم من طبائع الإنسان المذمومة، ومن ذلك حمله للأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها؛ ذلك لعظم شأنها، وتبعاتها.

ومن طبائع الإنسان المذمومة: الهلع والجزع.

هذان طبيعتان مذمومتان، لا ينجوان منهما إلا المصلون، كما بينت الآية الكريمة ذلك وهي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعاً ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣} [المعارج].

وقد وردت مادة "هلع" في القرآن الكريم مرة واحدة، وهي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج:19].

ومعنى الهلع في اللغة العربية: هلع: الهلع: بعد الحرص. رجل هلع هلوع هلواع هلواعة: جزوع حريص. يقال: جاع فهلع أي قل صبره (زين الدين الحنفي، 1999).

(هلع) الهاء واللام والعين: يدل على سرعة وحدة، وناقة هلواع: حديدة سريعة، ونعامة هالع كذلك. ومنه الهلع في الإنسان: شبه الحرص. ورجل هلع وهلوع (أبي بكر الأزدي، 1987).

هـ ل ع: (الهلع) أفحش الجزع وبابه طرب فهو (هلع) و (هلوع). وفي الحديث: «من شر ما أوتي العبد شح (هالع) وجبن خالع»*، ويحتمل أن يكون هالع جاء للازدواج مع خالع، والخالع الذي كأنه يخلع فؤاده لشدته (محمد الهروي، 2001)، ووردت مادة "جزع" في القرآن مرتين (2)، مرة اسمًا بصيغة «جَزُوع»، ومرة فعلًا من الثلاثي المجرد.

اسم بصيغة «جَزُوع» قوله تعالى: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا}[المعارج:20]، وفعلا من الثلاثي المجرد بصيغة الماضي، كما في قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ} [إبراهيم:21].

ومعنى الجزع في اللغة العربية: (جزع) جزع الرجل يجزع جزعا من مُصِيبَة أَو ألم.

والجَزوع ضدّ الصّبور على الشرّ. والجَزَع: نقيض الصَّبْر. وَقد جزِع يجزَع جزَعاً فَهُوَ جازع، فَإِذا كثُر مِنْهُ الْجزع فَهُوَ جَزُوع.

* أخرجه أبو داود في باب الجهاد وهو صحيح.

ومن طبائعه المذمومة: الطغيان.

الطغيان طبيعة تنبئ عن خبث النفس وفسادها، وقد وردت مادة الطغيان في القرآن الكريم من جذر "طغي" تسعة وثلاثين (39) مرة، ستة عشر مرة (16) اسمًا مشتقًا من الثلاثي المجرد، ومرة (1) اسمًا بصيغة «أَطْغَى»، وثمان مرات (8) اسمًا بصيغة «طاغُوت»، ومرة (1) اسمًا بصيغة «طَغْوَى»، واثني عشر مرة (12) فعلًا من الثلاثي المجرد، ومرة (1) فعلًا من باب «أَفْعَلَ».

وسأذكر بعض الأمثلة ذات الصلة المباشرة بالطغيان، قال تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة:15]، وقال: {بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ} [الصافات:30]، وقال: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات:53]، وقال: {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ} [العلق:6].

ومن طبائعه المذمومة، اليأس والقنوط:

ومن طبائع الإنسان المذمومة، تسرع اليأس والقنوط إليه، وذلك لعدة أسباب، من ضيق الحال، أو ضيق النفس، أومن قلة العلم وطغيان الجهل، والأخطر اليأس من رحمة الله التي لا ييأس منها إلا القوم الكافرون كما قال تعالى: {وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [يوسف:87]،

والنهي عن اليأس في قوله تعالى: {وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ} يفيد تحريمه، فليسَ لمؤمنٍ مسلمٍ أن ييأسَ.

وقد وردت مادة اليأس في القرآن الكريم من «يأس» ثلاثة عشر (13) مرة، وردت ثلاث مرات (3) اسمًا بصيغة «يَئُوس»، وثماني مرات (8) فعلًا من الثلاثي المجرد، ومرتين (2) فعلًا من باب «اسْتَفْعَلَ»، ومرة (1) اسماً بصيغة «يَئُوس».

وهذا استخراج لبعض الأمثلة من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا} [الإسراء :83]، وقوله تعالى:{ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} [فصلت:49]، وقوله تعالى:{وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ}.[هود:9]،وقوله تعالى:{وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا}.[الإسراء:83].

ومن طبائع الإنسان المذمومة: الغفلة والنسيان وتناسي البعث والعرْض على الله تعالى والغرق في الدنيا وشهواتها:

الغفلة من أخطر ما يصاب به الإنسان، فقد تكون أصلاً في الإنسان، أوقد تكون مكتسبة بسبب الذنوب، والانشغال بالمهم عن الأهم، وبسفاسف الأمور عن معاليها، وقد ذكر الله عز وجل آيه عظيمة تبين غفلة هذا الإنسان وانشغاله حتى يفاجأ بالموت، قال تعالى:{أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ}[التكاثر 1-2]، وبالتأمل في الآية نجد أن الله تعالى لم يذكر فيها المتكاثر به؛ ليعم كل ما يلهي الإنسان ويشغله، ويبقيه في غفلة حتى يفاجأ بما لا قدرة له على رده، ولا مفر له منه، وهو انتهاء ذلك الأجل الذي لا يعلمه إلا الله، وفي الآية دعوة للإنسان ليستفيق من غفلته، ويعد للأمر عدته.

ومن مظاهر هذه الغفلة، نسيان العبد أصله وحقيقته، كما قال تعالى: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا} [مريم :67]، وقوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ) [الطارق:5]، وتذكره يوم لا تنفع الذكرى كما قال تعالى:{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَى} [الفجر :23]، وقال جل جلاله:{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة:36]،وقال أيضًا:{يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى} [النازعات:35]، ولذلك شرعَ الله لنا الذكْرَ، لأنّ من طبيعة الإنسان النسيان.

وقد وردت مادة "الغفلة" في القرآن الكريم من «غفل» خمسة وثلاثين (35) مرة:

ثمانية وعشرون (28) مرة اسمًا مشتقًا من الثلاثي المجرد، وخمس (5) مرات اسمًا بصيغة «غَفْلَة»، ومرة (1) فعلًا من الثلاثي المجرد، ومرة (1) فعلًا من باب «أَفْعَلَ».

وهذه بعض الأمثلة ذات الصلة بهذه الطبيعة الإنسانية، دون التعرض لما قاله حولها المفسرون، أما ما يتعلق بالأمثلة عن كل موارد المادة، فإن الأمر يخرج البحث عن مراده، والتمثيل عن مقصده.

ومن الأمثلة قوله تعالى:{ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}[الأنعم:131]، وقوله تعالى:{فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}[العراف:136]، وقوله تعالى:{أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ}[النحل:108]، وقوله تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[مريم:39]، وقوله تعالى:{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ}[الأنبياء:1]

المطلب الثاني: الطبائع التي وردت في معرض المدح ودراستها

من خلال هذا المطلب سنجيب على تساءل هام ورد كإشكال من إشكالات البحث، مفاده، هل الأصل في الإنسان الخير، أم الشر؟ وذلك من خلال الحديث عن خصائص الإنسان التي تطبع صفاته، وتميزه عن غيره، ومنها:

أن الإنسان خيّر بطبيعته

طبيعة الإنسان: صالحة لفعل الخير، كما هي صالحة للرُّكون إلى الشر، يقول تعالى: {وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها}[الشمس: 7 – 8]، ومع ذلك فإن الدارس لكتاب الله- عز وجل- يستطيع أن يستنتج أن الميل إلى الخير هو الجانب الأغلب في الطبيعة الإنسانية، وأنها لو تركت وشأنها دون أن تتكالب عليها عوامل الإفساد لما حادت الفطرة السليمة عن الطريق المستقيم، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: 30]، وعوامل الإفساد والشر التي تخرج فطرة الإنسان عن طبيعتها كثيرة (عبد الكريم الخطيب، 139هـ).

ومن خصائصه الحميدة، الحياء

إن الحياء هو لباس الإنسانية التي جمّلها الله سبحانه وتعالى به، ولهذا كان أول ما ظهر على آدم من صفات الإنسان هي ستر عورته، حين ظهرت إرادته بهذا العصيان الذي عصى به ربّه، وأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها.. إنه هنا كائن ذو إرادة.. إنه إنسان...! ولن يكون إنساناً وهو في هذا العري الحيواني.. فكان أن نظر آدم وزوجه إلى وجودهما، فرأيا سوءتيهما، وفرض عليهما الحياء أن يسترا ما استحييا منه.. وقد أسعفتهما الحيلة، فطفقا يخصفان عليهما من أوراق الشجر، ما ستر العورة.

هذا هو الإنسان في أصل فطرته.. الحياء أول شعور وجده في كيانه، وسترُ العورة أول صنيع صنعه ليخرج به عن عالم الحيوان...!، ومن أجل هذا كان من آداب الإسلام، هذا الحرص الشديد على الحفاظ على عورات المسلمين، وعلى إيقاظ مشاعر الحياء فيهم، بما أوجب عليهم من أحكام وآداب، في المخالطة والمعاشرة، والاستئذان وستر العورة، حتى يظل ماء الحياء ساريًا في كيانهم، تتغذّى منه مشاعرهم، وتسمو به إنسانيتهم.. فإنه لا إنسانية إذا خفّ ماء الحياء فيها.. وفي هذا يقول الرسول الكريم: "الحياء خير كله"*، وقوله صلى الله عليه وسلم: "والحياء شعبة الإيمان"، "الحياء من الإيمان" (الطاهر التونسي، 1984).

* صحيح مسلم (رقم: 37)

ومن خصائصه الحميدة، الرحمة

الرحمة: اسم مصدر لصفة الراحم وهي من صفات الإنسان فهي، رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه (عبد الرحمن الكواكبي، 132هـ).

وردت مادة "الرحمة" من جذر «رحم» في القرآن (٣٣٩) مرة بمختلف الصيغ لا يسمح المقام بعرضها، وهي على الإجمال كالتالي: وردت ستة (6) مرات اسمًا مشتقًا من الثلاثي المجرد، واثنا عشر (12) مرة اسمًا بصيغة «أَرْحام»، وأربع (4) مرات اسمًا بصيغة «أَرْحَم»، وستة عشر ومائة (116) مرة اسمًا بصيغة «رَحِيم»، وأربعة عشر ومائة (114) مرة اسمًا بصيغة «رَحْمَة»، وسبعة وخمسون (57) مرة اسمًا بصيغة «رَحْمٰن»، ومرة (1) اسمًا بصيغة «رُحْم»، ومرة (1) اسمًا بصيغة «مَرْحَمَة»، وثمانية وعشرين (28) مرة فعلًا من الثلاثي المجرد.

والمثير في هذا القدر الكبير من آيات "الرحمة" في القرآن الكريم، أنها كلها تعود على الله تعالى خالق الرحمة وواهبها لما يشاء من عباده، ومنتزعها عمن يشاء، كما قال تعالى: {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ} [يوسف:56] وقوله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ} [هود:9]، وفي قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ} الآية [فصلت:50].

ووجود الرحمة في الإنسان إنما هو جزاء إيمانه وعمله الصالح، كما بينت ذلك الآيات التالية: قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران:132]، وغيرها من الآيات.

ولما كانت هذه الرحمة بيد الله جاء الأمر بطلبها من الله تعالى في قوله تعالى: {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ} [البقرة:286].

وقد وردت الرحمة في السنة النبوية في غير ما حديث، ومن ذك ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ"*

* أخرجه أبو داود في سننه (285/4، رقم 4941)، والبيهقي في السنن الكبرى (41/9، رقم 17683)، والترمذي في سننه (323/4، رقم 1924) قال: حسن صحيح. والحاكم (175/4، رقم 7274)، وأحمد في مسنده (160/2، رقم 6494)، والبيهقي في شعب الإيمان (476/7، رقم 11048) عن ابن عمرو

ومن خصائص الإنسان، ما يتعلق بالخلقة

لقد ذكر الله تعالى أنه خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: {{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين :4]. هذه الخلقة التي تقتضي الكمال في الخلقة، والتي من مقتضاها الكمال في الصفات، غير أن المؤثرات الخارجية، من التربية، والاحتكاك بالواقع تبقي الإنسان على خاصيته، أو تنحرف بها عن مسارها الطبيعي، وهذا ما يشهد له الحديث النبوي الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء"*.

ومن طبيعة هذه الخلقة، كونه خلق من أخلاط مختلفة تؤثر في طباعه وتوجَّه بالتربية والتخلّق، قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان:2]، مما يفيد أنَّ الإنسانَ مسؤولٌ على نفسه مسؤوليّة فردية كاملة – دون أن تغيبَ المسؤوليات والواجبات الاجتماعية بين المسلمين –، فالإنسان مُكلَّفٌ، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (الأحزاب: 72)، وقال: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا} (الإسراء: 13).

فنفهم من هذه الآيات أنَّ الإنسان مسؤولٌ مسؤوليَّةً كاملةً عن أعماله، ولا أحدَ سيُحاسَبُ عنه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ، وأن من طبعِ الإنسان إلقاؤه باللوم على غيره، فهذا هو الإنسان يصرخُ محمّلًا الشيطانَ المسؤولية، قال تعالى: {لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا} (الفرقان: 29)، أو يحاول أن يلقي المسؤوليةَ على من هم أقوى منه، على من يستغلُّهُ، قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (167) [البقرة].

فإذا علمنا أنّه ليس للإنسان إلى ما سعى، فإننا نعلم أنَّه ليس له ما تمنَّى ورغب به فقط دون عمل: {أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى}؟ [النجم: 24].

* صحيح البخاري، رقم :1319.

المبحث الثالث: علاقة مقاصد القرآن بطبائع الإنسان

المطلب الأول: علاقة مقاصد القرآن بطبائع الإنسان

إن الحديث عن علاقة مقاصد القرآن بطبائع الإنسان بصفة عامة سواء المذموم منها أو المحمود، ينبني على التفريق بين المقاصد الكلية، والمقاصد الجزئية، فكلها تراعى في الحديث عن علاقتها بطبائع الإنسان بصفة عامة، وقبل الحديث عن المقاصد العامة لا بد من ذكر، الغرض من عرض القرآن الكريم لطبائع الإنسان، وذلك –حسب رأيي– لأغراض ثلاثة، الغرض الأول المعرفة، والثاني التحذير، والثالث التزكية.

المقصد العام الأول: المعرفة

إن معرفة طبائع الإنسان تجعل هذا الأخير يدرك حقيقته، وكيف يتعامل مع الآخرين الذين يشاركونه نفس الطبائع، ومن ثم يكون هذا التعامل على معرفة وبصيرة؛ إذ لا يمكن الحديث عن حسن التعامل وحفظ حقوق الآخر في غياب المعرفة الحقة به وبطبائعه، التي يفترض مراعاتها في التعامل معه.

المقصد العام الثاني: التحذير

هذا المقصد يخص الطبائع المذمومة في الإنسان، ذلك أنه بعد معرفته الإنسان بنفسه وطبائعه، وإدراكه أن غيره يشاركه نفس الطبائع وإن تفاوتت حدتها بين الناس، فإنه يكون منها على بال من نفسه أولاً، ويكون أشد حذراً منها في تعامله مع الآخرين.

المقصد العام الثالث: التزكية

فبعد التحقق من معرفة الإنسان بنفسه، وبمن يشاركه في نفس طبائعه، وإدراكِه خطورة تلك الطبائع على نفسه، وإهمالِ مراعاتها في التعامل مع الآخر، هنا يحصل المقصد العام الذي أرسل الله من أجله الرسل، وأنزل الكتب، ذلك ما ذكره الله تعالى في كتابه: {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ}. [آل عمران:164]، ذلك هو مقصد التزكية، وهو مقصد عام يشمل تزكية جوانب الإنسان كلها، دون التفصيل في تلك الجوانب وكيف يتم تزكيتها، والوسائل المستعان بها في تحقيق ذلك المقصد في أجلى صوره؛ لأن ذلك وإن كان له علاقة بالبحث، لكن التفصيل فيه يطيل البحث ويخرجه عن مراده، وتكفي الإشارة إلى أن التزكية المرادة، تشمل جميع جوانب الإنسان، فكراً، وروحاً، ونفسًا، وبدنًا، واجتماعًا، فردًا كان أو مجتمعًا.

ثم إن هذا المقصد العام يراعى في جميع تلك الطبائع الإنسانية، ذلك أن التزكية من الضعف بالزواج والمجاهدة، ومن اليأس والقنوط بحُسن الظن بالله وسعة رحمته، ومن الجحود لنعم الله بالإقرار بالمنعم ودوام الشكر له، ومن ظلم النفس بالإقلاع عن المعاصي وكثرة التوبة، ومن الجدل المذموم بإدراك آثاره الوخيمة، ومن العجلة بمجاهدة النفس على التأني، ومن البخل بمجاهدة النفس على الجود، ومن الجهل بالتَّعَلُّمُ، ومن الهلع والجزع بالإيمان والعمل الصالح، ومن الطغيان بالإيمان بقوة الله وتذكر ضعف الإنسان.

المطلب الثاني: الأصل في الإنسان بين الخير والشر

إن الخالق سبحانه وتعالى هو أعلم بخلقه، وبما يصلحه، قال تعالى:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ}.[الملك:14]، وقد ذكر سبحانه وتعالى في كتابه طبائع هذا الإنسان المعنوية، ورسم صورة واضحة لمعالمها، وقد ذكرت في المبحث الأول تلك الطبائع، وأمثلتها، وأقسم سبحانه وتعالى على أن هذا الإنسان لخاسر، واستثنى من ذلك من اتصف بصفات تقيه من الخسران المحقق، فقال سبحانه في أقصر سورة، وأوجز عبارة: {وَالْعَصْرِ إِنَّ ٱلِانسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ}.[العصر:1-3]. إلى غير ذلك مما وصف الله به طبيعة الإنسان في القرآن، مما يفيد صعوبة مهمة القيام على هذا الإنسان، بالمحافظة على فطرته، وتوجيهها في ظل الموجات المختلفة التي يواجها.

خلق اللهُ في الإنسان استعداداً للصلاح واستعداداً للفساد، فأبواه يصلحانه، أو يفسدانه؛ أي إنَّ التربية تربو باستعداده جسماً ونفساً وعقلاً، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشرّ.

الإنسان لا حدَّ لغايتيه رقيّاً وانحطاطًا، وهذا الإنسان الذي حارت العقول فيه، الذي تحمَّل الأمانة التي أبتها العوالم، فأتمَّ خالقه استعداده، ثمَّ أوكله لاختياره، فهو إن يشأ الكمال يبلغ فيه إلى ما فوق مرتبة الملائكة، وإن شاء تلبَّس بالرَّذائل حتى أحطّ من الشياطين، وما ذكر الله تعالى الإنسان في القرآن إلا وهجاه، فقال: {قُتِل الإنسانُ ما أكفره}؛ {إنَّ الإنسان لكفورٌ}؛ {إنَّ الإنسان لفي خُسرٍ}؛ {إنَّ الإنسان ليطغى}؛ {وكان الإنسان عَجولاً}؛ {خُلِق الإنسان من عَجَلٍ}. ما وُجِد من مخلوقات الله من نازع الله في عظمته، والمستبدّون من الإنسان ينازعونه فيها، والمتناهون في الرّذالة قد يقبحون عبثاً لغير حاجة في النَّفس حتى وقد يتعمدون الإساءة لأنفسهم.

الخاتمة

إن موضوع طبائع الإنسان، وعلاقة مقاصد القرآن بها، لا يوفيه حقه بحث صغير كهذا، وإنما يحتاج إلى بحوث مطولة تعرض تفاصيله، وتوسع مداخله، وموارده، غير أنه كما يقال حسب القلادة ما أحاط بالعنق، وحسبي أني طرقت باب البحث فيه، ونلت مما ناسب المقام، وخلصت فيه إلى النتائج التالية:

- ✓ طرح الموضوع إشكالات كثيرة، وقد أجاب البحث –ولله الحمد – على أكثرها.
- ✓ تناول البحث موضوع طبائع الإنسان في القرآن مراعياً سياقات الآيات التي تحدثت عنها بقدر المستطاع.
- ✓ ناقش البحث إشكالية هذه الطبائع من حيث كونها فطرية أو مكتسبة، وهل الأصل في الإنسان الخير أم الشر، وخلص إلى أن الله عز وجل خلق الإنسان سوياً في أحسن تقويم، غير أن هناك عوامل خارجية كالتربية، والاحتكاك الاجتماعي، والعولمة..، توثر سلباً أو إيجاباً، فتبقي طبيعة الإنسان على فطرتها السليمة، او تنحرف بها عن مسارها الطبيعي.
- ✓ مما توصل إليه البحث أن الإنسان لا يصبح مسؤولاً على نفسه مسؤولية كاملة، إلا بعد أن يرشد، ويدرك، ويتعلم، فيتحمل تبعات تصرفاته، غير أنه قبل ذلك ليس كذلك، وإنما المسؤولية ملقاة على عاتق الأسرة أولاً، ثم المجتمع ثانياً، ثم الدولة ثالثاً.

الاستنتاجات:

- ✓ هناك أمور كثيرة تتعلق بموضوع البحث لم أقف على دراسة تناولتها وخاصة ما يتعلق بالجنب المقاصدي في الدراسة.
- ✓ أجاب البحث عن بعض إشكالات البحث، وترك بعضها لبحوث أخرى مستقبلاً إن شاء الله.
- ✓ تبين من خلال البحث، ان الموضوع يحتاج إلى دراسات مفصلة، تتناوله من مختلف المجالات، نفسياً، واجتماعياً، واخلاقياً، بل وحتى اقتصادياً وسياسياً؛ لأن موضوع الطبائع البشرية له انعكاس على واقع الإنسان، سلباً، أو إيجاباً، ومن ثم تأتي التوصيات التالية:

التوصيات

- ✓ يوصي الباحث المهتمين بالدراسات القرآنية إلى الاهتمام بالبحوث التي تعنى بالإنسان في القرآن الكريم، وهو مجال خصب وكبير، ومتعدد الجوانب.
- ✓ يوصي الباحث بدراسة جماعية حول موضوع طبائع الإنسان في القرآن الكريم تتناوله من مختلف زواياه، كل حسب تخصصه، فمن زاوية نفسية، وأخرى من زاوية اجتماعية، واخرى اقتصادية وسياسية...
- ✓ فلا زالت هناك مواضع تهم الإنسان في القرآن الكريم، وخاصة ما يتعلق بمقاصد القرآن وعلاقتها بالإنسان فدونها ذوو العزائم.
- ✓ يدعو الباحث المهتمين إلى عقد مؤتمر خاص بمقاصد القرآن؛ إبرازاً لأثرها في بناء الإنسان، ومعالجة الخلل في تنميته..

هـ\ا والله تعالى أسأل التوفيق والسداد وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

قائمة المصادر والمراجع

مقاصد القرآن وصلتها بالتدبر، للفكي التجاني، علي البشر، المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن (2013م 1434هـ)

مجمل اللغة لابن فارس، (المتوفي: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986.

الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، للأزدي الميورقي الحميدي، دار ابن حزم – لبنان 1423هـ – 2002م.

المستصفي، للغزالي الطوسي المتوفي505هـ، دار الكتب العلمية، 1413هـ –1993م.

مقاصد القرآن وصلتها بالتدبر، لفكي التجاني، علي البشر (ص:5).

مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، حامدي عبد الكريم. دار بن حزم (2008).

معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة – بيروت عام النشر: [جـ ٣/ ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٩ م].

جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقي: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.).

معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ص. ب: ٧٧٨٠. الطبعة: (بدون تاريخ نشر).

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.(ص:660).

كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقي: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة. (بدون تاريخ).

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤.

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، لعبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي يلقب بالسيد الفراتي (ت ١٣٢٠هـ)، المطبعة العصرية – حلب، الطبعة: طبعة جديدة منقحة ومضافة بقلم المؤلف.